وقوله : (اروا من الشعر اعفّه ، ومن الحديث احسنه ، ومن النسب توصلون عليه وتعرفون به فرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت ، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الاخلاق وتنهي عن مساويها)(٤٤) وقوله ايضاً : ـ

(احفظ محاسن الشعر يحسن ادبك ، فأن من لايعرف نسبه لم يصل رحمه ، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقاً ، ولم يقترف ادباً)(٤٥) ففي هذه الاقوال جميعا تبني لمفهوم الشعر ومهمة الشاعر الواردة عند الرسول (ص) ونظرته الى الشعر وتقسيمه له الى ضربين وتشجيع ماوافق الخير . فمفهوم الشعر عند الخليفتين الراشدين يبين انه وسيلة فنية تعبر عن صدق الاحاسيس والمشاعر ويتخذ جانب الخير والفضيلة ليساهم في تهذيب النفوس ، وهو رياضة فنية اخلاقية لابد من وجوده ، كل هذا لايخرج عن اطار مفهوم الشعر في الاسلام او مفهومه لدى الرسول (ص) .

النقد والواقع الشعري في صدر الاسلام : ـ

ان دراسة الواقع الشعري لمعرفة مفهوم الشعر ، ووضع النقد في العصر الاسلامي ينسجم مع الاحاديث النبوية السابقة ، ومع الاية الكريمة التي وجهت الشعراء وصنفتهم صنفين .

لقد ذكر عن الرسول (ص) انه حين اشتدت قريش في حربها للمسلمين وسخرت شعراءها للنيل من الدين الجديد ونبيه الكريم طلب الرسول (ص) من الشعراء نصرته والذود عن دينهم وعقيدتهم قائلا :

(مايمنع القوم الذين نصروا رسول الله (ص) بسلاحهم ان ينصروه بألسنتهم فقال حسان : انا لها ... واخذ بطرف لسانه ، وقال : والله مايسرني به مقول بين بُصرى وصنعاء)(٤٦) .

وهكذا نلمح في دراسة الواقع الشعري في عصر الرسول (ص) تشجيعا للشعر والشعراء ، « وتوجيها » نحو الالتزام الديني والخلقي فحين انبرى المسلمون مدافعين عن الدين الاسلامي بكل مايملكونه من طاقة مادية اندفعوا ايضاً للذب عنه

---

(٤٤) جمهرة انساب العرب ٣٦ .

(٤٥) وقد روى مثل هذا القول مع خلاف بسيط عن الخليفة عمر (رض) ايضاً في جمهرة اشعار العرب ٣٦ .

(٤٦) طبقات فحول الشعراء / ١٨١ .

بالوسيلة الاعلامية المعروفة آنذاك وهي الشعر الذي تسير به الركبان ، ويتناشده الناس في مجالسهم ومسامراتهم خاصة ان المشركين قد فطنوا الى اهميته وافادوا منه في نشر معارضتهم للاسلام وهجائهم للرسول (ص) لا بد ان يتخذ المسلمون ايضاً الشعر وسيلة من وسائل الدعوة ان لم يكن تعبيراً رائعاً عما تجيش به نفوس شعرائهم من مشاعر الحماس والتأييد للدين الذين آمنوا به . وقد ذكرت اقوال كثيرة شجع بها الرسول (ص) الشعراء الذين سموا فيما بعد بشعراء الدعوة ، حسان بن ثابت ، عبدالله بن رواحة ، كعب بن مالك ، منها :

- لشعرك اجزى عند قريش من سبعين رجلاً مقاتلاً .
- هؤلاء النفر اشد على قريش من نضح النبل .

- اهجهم فوالله لهجاؤك اشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام او غبش الظلام .
- اهجهم ومعك جبريل روح القدس .
- اهجهم انت (والخطاب لحسان) سيعينك عليهم روح القدس .
- اللهم ايده بروح القدس .
- ان روح القدس معك(٤٧)

وقد علق ابن رشيق على هذه الاقوال مدافعا عن مكانة الشعر والشاعر في عصر الرسالة بقوله :(لو انه حرام ما اثابهم ولا امرهم)(٤٨)

ان هذه الاخبار تدلنا على بعد نظر الرسول (ص) وادراكه لاهمية الشعر اذا وجه الى خدمة الدعوة الاسلامية ونشر الخير فقد ذكر انه (ص) نادى يوما عبدالله بن رواحة وهو في المسجد فلما قدم سأله : كيف تقول الشعر اذا قلته؟ فقال عبدالله : انظر في ذلك ثم اقول . فقال الرسول (ص) فعليك بالمشركين .(٤٩)

ولا يفهم من سؤال الرسول (ص) المعنى الحرفي الظاهري للاستفهام المباشر انما اراد (ص) ان يوجه الشاعر عبدالله بن رواحة للدفاع عن الدعوة شعرا . وقد فهم الشاعر قصده فاجابه بأن قول الشعر يقتضي التأمل في المعنى المراد وصفه والقول فيه وهكذا انبرى عبدالله بن رواحة لهجاء قريش والمشركين .

---

(٤٧) مراجع هذه الاقوال في الجامع الصغير ٢ / ٢٠٩ . البخاري ٢٢ . المساجد ٢٥ . وانظر الاسلام والشعر ٤٩ . ديوان كعب ٧٢ .

(٤٨) العمدة ١ / ٣١ .

(٤٩) الطبقات الكبرى ت ٢ / ج ٣ / ٨١ طبقات فحول الشعراء ١٨٧ ـ ١٨٨ ايمان

وهناك تعليقات عابرة علق عليها الرسول (ص) على بعض الاشعار ولكنها تعليقات مهمة جديدة تدل على تفهمه (ص) الدقيق لدلالة الالفاظ وارتباطها بفكر الشاعر ومايعرضه من معان . وذلك بتغييره لفظة مكان اخرى فيتحول معنى البيت الذي يريد الشاعر تصويره من فخر قبلي الى فخر جماعي ديني . فقد ذكر ان كعب بن مالك انشد الرسول (ص) : ـ

الا هل اتى حسان عنا وعنهم
من الارض خرق غوله متنعنع
مجالدنا عن جذمنا كل فخمة
مذرية فيها القوانس تلمع

قال رسول الله (ص) مبدلاً لفظ جذمة الى دين (ديننا)(٥٠) ليكون البيت منسجما مع الروح الجماعية التي ارادها الاسلام لتكون جامعة للعرب بدلا من العرق والانتماء الى القبيلة .

وسمع الرسول (ص) بيت كعب بن زهير في قصيدته اللامية المشهورة : ـ

ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سويف الهند مسلول

قال له الرسول (ص) (من سيوف الله) محاولة منه (ص) لتوجيه كل معاني الشعر مدحا وفخرا نحو المعاني الاسلامية . والشاعر هنا قد مدح مدحاً تقليدياً حين وصف الرسول (ص) بانه من سيوف الهند فلما ابدل الرسول (ص) كلمة الهند بكلمة الله صار هذا المديح موافقا لما يدعو اليه الرسول (ص) وخرج عن كونه مديحاً شخصيا . وهكذا يقوم الرسول (ص) من شعر الشعراء ويوجههم الوجهة الدينية الصحيحة(٥١)

والخليفة عمر بن الخطاب حين سمع بعض شعر سحيم ولم يجد فيه فحشا ولا طعنا مثلما عهده في شعر هذا الشاعر الغزل شجعه عليه مرة . وغير بعض الفاظه مرة اخرى فحين أنشد الشاعر سحيم قوله :

---

(٥٠) المسيرة النبوية ت ٢ / ١٣٣ ديوان كعب بن مالك ٢٢٢

(٥١) الاسلام والشعر ، ٥٧

عـميرة ودع ان تجهزت غـازيا

كفى الشـيب والاسلام للمرء نـاهيا

قال له عمر : لو كنت قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك . وفي رواية اخرى لو قلت كل شعرك مثل هذا لاجزتك(٥٢) . وما قوله الا محاولة اخرى لتنبيه الشاعر على وجوب مسايرة اشعاره لمبادىء الدعوة ، وابتعاده عن الفحش الذي نهى عنه الرسول (ص) . والخليفة عمر نفسه حذر هذا الشاعر في موضع اخر حين رأه متغزلا غزلا فاحشاً (تقتل ياسحيم) أو (ويلك انك مقتول)(٥٣) لانه يعرض نفسه فعلا الى القتل حين يذكر اسماء نساء قرشيات باعيانهن ويتغزل بهن غزلا فاحشا .

وستجد محاولات هذا الخليفة في روايات كثيرة اخرى يوجه فيها فخر الشعراء وجهة اسلامية من خلال تعليقاته على الشعر الذي قيل في عصر ماقبل الاسلام ووجد فيه الخليفة صدقا وجمالا فيقول معقبا على ابيات لزهير في الفخر (ما كان احب الي لو كان هذا الشعر في اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكأنه يريد ان يقول ان الفخر لا يـليق الا بـالنبي (ص) وآله الذين ارتضعوا برضاع النبوة ومبادئها .

اما سماعه (ص) لقصيدة كعب بن زهير وعفوه عنه فهي تمثل موقفا آخر ربما لاعلاقة مباشرة له بالشعر كما فهم بعض مؤرخي الادب والنقد ، فقد كان الرسول (ص) قد اهدر دم الشاعر وحين خاف كعب واراد ان يعلن اسلامه عملا بمشورة اخيه بجير خشي كعب ان يقتل قبل ان ينال عفو الرسول (ص) فلما قدم عليه متنكرا كشف عن قناعه وشهد شهادة الا اله الا الله وعفا عنه الرسول (ص) واستمع الى قصيدته ، والقى عليه بردته التي اشتراها معاوية فيما بعد من آل كعب بمال كثير . هذا التكريم لايعني على اية حال اعجاباً بقصيدة الشاعر حتى يستنتج منه تقدير لموهبته او موافقة الرسول (ص) على مافي القصيدة من تقاليد فنية لما حققته من متعة فنية(٥٤) ولا يمكن ايضاً ان نستدل بها على ذو الرسول (ص) الفني في الادب ونقده(٥٥) ، فذوقه وبلاغته وادبه تجدها في جميع اقواله الشريفة ،

---

(٥٢) انظر ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ص ١٦ ، البيان والتبيين ١ / ٧١ ـ ٧٢ ، الكامل ، المبرد / ٣٧٢ ، الاغاني ٢٠ / ٢ ـ ٣ .

(٥٣) طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام ٤٣ ط ليدن

(٥٤) شعر العقيدة ٤٢

(٥٥) النظرية النقدية ٦٥ ، ٤٨ النقد الادبي ٤٨

واحاديثه الاخرى وانما نفهم من الرواية موقف الرسول (ص) القائد المحنك الذي اراد ان يعلن للناس عفوه عن كعب . ويرفع ما اعلنه من هدر دمه فاذا استمع الى قصيدته دل سماعه على رضاه عنه . واذا القى عليه بردته أكرمه واعلن حمايته له . فأكساؤه البردة اشهار لهذه الحماية لئلا يتوهم بعض المسلمين ان دم كعب مايزال مهدوراً (٥٦)

واذا كان الرسول (ص) قد شجع الشعراء المسلمين على قول الشعر المدافع عن الدعوة الملتزم بمبادئها فأن الشعراء انفسهم قد فخروا بمواقفهم تلك واعتزوا بتشجيع الرسول (ص) لهم وسماعه اشعارهم . واتخذوا هذا الموقف سنة يحتجون بها اذا منعوا عن قول الشعر . فقد ذكر ان الخليفة عمر بن الخطاب مر على حسان بن ثابت وهو ينشد شعرا في المسجد فوبخه آخذا بأذنه قائلا : ارغاء كرغاء البعير ؟ فيجيبه حسان . محتجا والله لتعلم اني كنت انشد في هذا المسجد من هو خير منك فلا يغير علي فصدقه عمر (٥٧)

وواضح ان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب كان مدركا لموقف الرسول (ص) ولدور الشعر الذي شجعه ووجهه لخدمة الدعوة الاسلامية بما في ذلك شعر حسان . ولكن الموقف في زمانه قد تغير ولم يعد لشعر حسان الذي قاله في المشركين دور وفائدة اذا القي في المسجد . بل فيه ضرر لانه يذكر كثيراً من رجال قريش ـ دخلوا جميعا في الاسلام ـ يذكرهم اياهم بشركهم . ومعاداتهم للمسلمين . وفي ذلك اثارة للحزازات والاحقاد القديمة فموقف الخليفة عمر هو موقف المسؤول الواعي للمظاهر السلبية التي تؤدي الى تداعي المجتمع او تخلخل وحدته . ولا بد ان يكون نهيه حسانا عن قول الشعر مقرونا بنوع خاص من الشعر .. هو الذي يثير احقادا وضغائن قد عفى عليها الاسلام بدخول جميع المشركين في الاسلام . ويبقى احتجاج حسان بالقائه الشعر ايام الرسول (ص) في مسجده دليلا على الدور العظيم الذي اداه الشعر في سبيل الدعوة وتشجيع الرسول الكريم لهذا الدور وتوجيهه

اما الموقف من غرض الهجاء فهو موقف نقدي ايضاً ينظر اليه من خلال الواقع الشعري في هذه الفترة وموقف الناقد ازاءه في رفضه وقبوله . ونستطيع ان نتبين هذا

---

(٥٦) انظر وصف خوف كعب من اهدار دمه وامتناع الانصار عن حمايته في كتابل الزينة ١/ ١٠٥ . العمدة ١/ ٢٣

(٥٧) الاغاني ٤ / ١٤٤

الموقف من خلال الروايات التي بينت موقف الرسول (ص) من شعراء الهجاء فشعراء الدعوَة المسلمون قالوا في هجاء المشركين ولم يكن الرسول (ص) الا مشجعا لهم مباركاً قولهم . لانهم يدافعون عن العقيدة الاسلامية ويردون على شعراء المشركين الذين استغلوا الشعر ورغبة العرب فيه وسماعهم له ليسفهوا الدين الجديد ويحرضوا العرب قاطبة على محاربة الاسلام والمسلمين . فتشجيع الرسول (ص) شعراء الدعوة للرد على المشركين انما هو استمرار لارساء دعائم الدين الاسلام والشعر وسيلة من وسائل هذا الدعم .

اما شعراء المشركين فأن محاولتهم انما هي محاربة للشرك ذاته والرد عليهم رد على افتراءاتهم . واذا كان الرسول (ص) قد امر بقتل بعضهم فليس هذا من باب الاضطهاد الشعري قدر ماهو معلوم من كونهم مساهمين فعلا في حرب الاسلام والدعوة الاسلامية شعرا وسلوكا . فابو عزة الجمحي هجا الرسول (ص) في مكة وقاتل مع المشركين في بدر فلما اسر استعطف الرسول (ص) فمن عليه على ان لا يعين بشعره فعاهده على ذلك فلما عاد الى مكة عاود سيرته الاولى في الحث على معاداة الرسول (ص) وقتاله . وفعلا شارك في القتال ضد المسلمين يوم احد فلما تمكن منه المسلمون حاول خداعهم فقال الرسول (ص) قوله المشهور (لايلدغ المؤمن من جحر مرتين). ثم امر بقتله(٥٨) وقل مثل هذا عن كعب بن الاشرف شاعر اليهود الذي كان يشبب بنساء المسلمين ويحرض الكفار على قتال محمد (ص) وساهم فعليا في عداء الدعوة فما كان قتله الا رداً على اعماله واشعاره معا والتي هجا فيها المسلمين وعرض بنسائهم وافحش في القول(٥٩) .

اما شعراء الهجاء في غير اطار الدعوة فأننا نجد حديثا نبويا كريما يصرح فيه الرسول (ص) بالنهي عن قول الهجاء المقذع وذلك هو قول الرسول (ص) : ـ

(من قال في الاسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر)

وبتوجيه الشعراء الى نبذ القول الفاحش في الهجاء وغيره توجيه ينسجم مع مبادىء الاسلام واخلاق الرسول (ص) الذي وصف بأنه (لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا لعّانا ولا سبابا .(٦٠) وهو (ص) القدوة الحسنة لجميع المسلمين بخلقه

---

(٥٨) الزينة في الالفاظ العربية الاسلامية ١ / ١٠٣ . اثر القرآن ص ٨

(٥٩) راجع اخباره طبقة شعراء يهود في طبقات فحول الشعراء لابن سلام

(٦٠) العمدة ٢ / ٣ . لسان العرب مادة (هدر) الاسلام والشعر / الجبوري ٧٥

القويم وطبعه المستقيم وحرى به ان يوجه المسلمين الى نبذ الفحش في سلوكهم واقوالهم . والشعراء اولى الناس بهذا التوجيه . وقد ذكر انهُ (ص) قال : ـ

(ان اعظم الناس عند الله فرية لرجل هاجى رجلاً فهجا القبيلة بأسرها)(٦١)

اما موقف الخلفاء الراشدين من هذا الغرض الشعري فيعد امتدادا لتوجيهات الرسول (ص) الكريمة وهكذا نستطيع الوقوف عند روايتين افاض في ذكرهما مؤرخو النقد والادب تتعلقان بالشاعرين الحطيئة والنجاشي زمن الخليفة عمر بن الخطاب .

وخلاصة الموقف من الحطيئة انه قبل عرضا عرضه عليه الزبرقان وهو قبول جواره بكل مايحمله هذا القبول من رغبة الزبرقان في اكرام الشاعر مقابل ضمان مديحه له وما يشيعه هذا المديح من شهرة ومكانة اجتماعية . ولكن ظروفا معينة حالت بين الزبرقان وبين اكرامه الحطيئة مما جعل الاخير يشعر بالضياع والحرمان في الوقت الذي استغل خصوم الزبرقان الموقف وعرضوا على الحطيئة جوارهم .

وهكذا ينتقل الحطيئة من جوار الزبرقان الى جوار بني بغيض وهنا تقوم قائمة الزبرقان فيرسل الى شاعر من بني النمر بن قاسط ليهجو بغيضا وفي هجائه لهم يعرض بالحطيئة وان بني انف الناقة لاشرف يعد اصيلا لهم سوى مدح الحطيئة لهم وحين يبلغ الخبر الحطيئة لايبادر الى هجاء الزبرقان ولكنه يعاتبه ويشتد الامر بين بني بغيض والزبرقان مما يضطر الحطيئة الى الالتزام بموقف القوم الذين آووه واكرموه فيقول شعرا يرد فيه على هجاء الشاعر مادحا بني بغيض بقوله :

ماكان ذنب بغيض ان رأى رجلا
ذا حاجة عاش في مستوعرشاسي
جـار لقوم اطالوا هـون منزلـه
وغـادروه مقيما بين ارماسـي
ملـوا قـراه وهـرته كـلابهم
وغـادروه بـأنياب واضَـراسـي

---

(٦١) فهرس صحيح البخاري ٣٦٢ باب الادب ٢٥٩ ـ ٢١٤

دع المكـارم لاتـرحل لبغيتها

وأقعد فأنك انت الطاعم الكاسي(٦٢)

فيسرع الزربقان الى الخليفة عمر بن الخطاب ليستعديه على الحطيئة وهو غير مدفوع في شكواه من هجاء الحطيئة قدر اندفاعه الى الموقف الحرج الذي وضعه فيه اعداؤه بنو بغيض وحين ينشد الابيات امام الخليفة عمر يتظاهر الخليفة بعدم فهمه لمعنى الهجاء الموجود في البيت الاخير خاصة فيقول : ـ

ـ ما اعلمه هجاك . اما ترضى ان تكون طاعما كاسيا

فقال الزبرقان انه لايكون في الهجاء اشد من هذا .

والخليفة عمر يعرف بما عرف عنه من بصر بالشعر ومعرفة بالمفاهيم العربية السائدة آنذاك ـ . ان قصد الحطيئة هو الهجاء . ولكنه حول معنى البيت الى مايقرب من المفهوم الاسلامي الذي يدعو الى القناعة والاكتفاء بما يكفي الانسان من طعام وكسوة مع علمه ان اقسى مايهجى به المرء في المجتمع العربي ان تكون همته قاصرة عن اكرام الاخرين واكسائهم . فلما اصر المشتكي على موقفه استدعى الخليفة عمر حسان بن ثابت فيقر الاخير بأن ابيات الحطيئة اشد انواع الهجاء حقا . وهنا لايجد الخليفة مناصا فيأمر بسجن الشاعر قائلا : (ياخبيث لاشغلنك عن اعراض المسلمين)(٦٣)

ان تجاهل الخليفة عمر لمعنى الهجاء الوارد في بيت الحطيئة ماهو الا محاولة منه لتخفيف حدة وقع الهجاء على نفسية المشتكي املا في تراجعه عن رفع الشكوى ضد الشاعر . فلما اصر المشتكي على موقفه استدعى حسانا املا في ان يدافع حسان عن الشاعر او يسوغ قول الحطيئة بطريقة تحول بينه وبين العقاب ولنا ان نتساءل كيف يتوقع من حسان تجاهل معنى الهجاء هذا او تخفيفه . ولكننا نقول ان للشعراء مذاهب في القول يتخلصون فيها من مواقف حرجة بذكاء وفطنة تبعدهم عن ظاهر قولهم الذي اوقعهم في الحرج او الذي يؤدي بهم الى التهلكة او العقاب . فالفرزدق مثلا انشد الخليفة يوما شعرا صرح فيه بارتكابه عملا فاحشا فينتفض الخليفة ويهدد الشاعر باقامة الحد عليه اذ ان الاعتراف سيد الادلة كما يقولون . والشاعر قد

---

(٦٢) راجع تفصيلات هذا في مقال (الوجه الاخر للحطيئة) د . ابتسام مرهون مجلة الاستاذ العدد الاول / ١٩٨٧ .

(٦٣) الشعر والشعراء ١ / ٢٨٧

اعترف ـ امام الخليفة ومجلسه ـ بما يستحق اقامة الحد عليه . لكن الشاعر كان ذكيا جدا في تداركه الامر بسرعة حين خاطب الخليفة بأنه من الشعراء الذين يقولون مالا يفعلون . فيضحك الخليفة ويتجاوز عن شعره ويصفح عنه .

وهكذا يمكن ان نتوقع من حسان التخفيف من حدة النزاع بين الحطيئة والزبرقان لكن الخليفة يسجن الحطيئة فيحاول هذا ان يستعطف الخليفة بأبيات انسانية رائعة يذكر فيها صغاره الضعاف المحتاجين اليه في ابياته المشهورة :

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ
زغب الحواصل لاماء ولا شجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمة
فأمنن عليك سلام الله ياعمر
فأمنن على صبية بالرمل مسكنهم
بين الاباطح يغشاهم بها القرر
اهلي فداؤك كم بيني وبينهم
من عرض دوية يفنى بها الحجر

فيرق له قلب الخليفة في روايتين : الاولى انه يشترط عليه الا يعود الى مثل هذا ـ يعني الهجاء ـ اي منعه عن الهجاء مطلقا . ولكن امر الخليفة هذا يلقى احتجاجا من الشاعر المتكسب بالهجاء فيقول برماً « مصورا » فيها حاجته الى المال وقوله في الهجاء تكسبا :

يااايها الملك الذي امست له
بصري وغزة سهلها والا بطح
او ملكها وقسيمها عن امره
يعطي بأمرك ما يشاء ويمنع
اشكو اليك فاشكني ذرية
لايشبعون وامهم لاتشبع
كثروا علي فلا يموت كبيرهم
حتى الحساب ولا الصغير المرضع

وفي الرواية الثانية انه اشترى منه اعراض المسلمين .

وفي كلتا الروايتين نجد موقفا نقديا ازاء غرض الهجاء الاول بمنع الخليفة شاعرا من الشعراء من قول الهجاء دون منعه عن سائر الاغراض . والثاني محاولة الخليفة اسكات صوت الشاعر الهجاء بالمال لادعاء الشاعر ان كسبه الوحيد هو تهديد الناس بالهجاء وهنا لا يملك الخليفة الا ان يكفيه حاجته لكونه خليفة المسلمين وهو المسؤول عن رعاية شئونهم وسد حاجاتهم والحطيئة واحد منهم .

وقد اباح الخليفة عمر فعلا لابي موسى الاشعري اعطاءه الحطيئة مالا لغرض اسكاته عن هجائه حين بلغه ان ابا موسى قد اعطى الحطيئة مالا بسبب ابيات قالها فيه فكتب اليه يلومه فلما كتب اليه ابو موسى : (اني اشتريت عرضي منه بها) كتب اليه عمر (ان كان هذا هكذا . وانك حميت عرضك من لسانه . ولم تعطه للمدح والفخر فقد احسنت)(٦٤)

وموقف الخليفة عمر من الحطيئة نجد له موقفا آخر مشابها له حيث يحاول فيه توجيه هجاء قاله النجاشي في بني العجلان وجهة تبعده عن ان يكون هجاء ويحول معناه لكي يكون مديحا عكسا قيم الهجاء الجاهلية التي قام عليها الشعر الى قيم مادحة بمفهوم الدين الاسلامي السمح . فحين استدعى بنو العجلان على الشاعر الخليفة عمر وانشدوه قوله فيهم :

اذا الله عادى اهل لؤم ورقة

فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

حاول الخليفة عمر ان يخفف من حدة هجاء هذا البيت بأن جعله مجرد دعاء فأن كان مظلوما استجب له وان كان ظالما لم يستجب له . فسكت القوم عن هذا البيت لان ماوراءه لا يمكن ان يفهم منه الا هجاء فقالوا ولكنه قال : —

قبيلة لا يغدرون بذمة

ولا يظلمون الناس حبة خردل

---

(٦٤) الاغاني ٢ / ١٧٥ وقد اشير الى ان قصيدة الحطيئة المذكورة في هذه الرواية موضوعة هي وخبرها ولكنها مع افتراض وضعها تبقى دالة على موقف الخليفة عمر من الهجاء ومحاولته اسكات اصوات الشعراء الذين يرفعون عقيرتهم هاجين او شاتمين . انظر تخريج القصيدة في ملحق الديوان .

فقال عمر : (ليت آل الخطاب هكذا) محولا صفة الضعف والذلة التي اراد الشاعر وصف القبيلة بهما من منطلق قبلي الى صفة يعتد بها المسلم ويشجع عليها وهي كونهم لايظلمون احدا مهما كان الظلم صغيرا مخافة من الله لا ذلا .. والشاعر ماراد هذا المفهوم الاسلامي وانما اراد به معنى الهجاء البحث فقال القوم : وقد قال ايضا : ـ

ولا يردون الماء الاعشية
اذا صدر الوراد عن كل منهل

وهنا يكون الخليفة امام مفهوم للهجاء عرف قبل الاسلام وهو ان القبيلة الضعيفة تخاف الاقوياء من القبائل والناس والشاعر يريد ان يقول ان هذه القبيلة لضعفها لاتجرؤ على مزاحمة الناس في ورود الماء وانما تنتظر حتى ينتهي الجميع فيشرب الاقوياء الماء صافيا اول وروده والضعفاء ماعكر منه حين ينتهي الاخرون من وروده . فحاول الخليفة عمر ان يوجه البيت وجهة اسلامية ايضا حين قال : (ذلك اقل للسكاك) اي (الزحام) فهذه القبيلة تحب لنفسها ماتحب لغيرها ولا تزاحم الناس على ورود الماء وانما تصبر حتى ينتهوا ويكتفوا منه ثم تأخذ حقها منه . فقالوا وقد قال : ـ

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم
وتأكل من كعب وعوف ونهشل

فقال الخليفة عمر (اجنَّ القوم موتاهم فلم يضيعوهم) وهنا نكون امام بيت في الهجاء اراد الشاعر منه ان يصف خبث نفوس المهجوين وانه لهذا تعافهم حتى الكلاب الضارية الجائعة لحومهم لنتنها وقبحها بينما حاول الخليفة عمر ان يحول معنى البيت الى مديح فمن السنة الواجبة الا يترك القتيل في ساحة المعركة وانما يجب دفنه . هذا في الاسلام وقبله نجد مايشبهه اذ تحرص القبيلة القوية ان تحافظ على كرامة ابنائها احياء او امواتا فاذا قتلوا لم تتركهم للضاريات وانما تحفظ لهم الود والوفاء بالاسراع بدفنهم ولكن قول الخليفة عمر هنا لم يقنع القوم ايضا لان بعد هذا البيت بيتاً اخر لايخفي هجاؤه فقالوا ولكنه قال :

وما سمي العجلان الا لقيلهم
خذ القعب واحلب ايها العبد واعجل

ويريد الشاعر ان جد المهجويين ماسمي بالعجلان الا لانه كان عبدا « مأمورا » يؤمر وينهر بأخذ القدح التكبير والتسل بالخدمة وحلب اللبن . ولكن الخليفة عمر اراد ان يوجه هذا المعنى الى مديح من مفهوم اسلامي ايضا شهده المسلمون وشجعهم الرسول (ص) وهو ان العمل تشريف للانسان وان سيد القوم خادمهم .

ومع محاولة الخليفة عمر الطريفة هذه فأن القوم لم يقتنعوا بها بل اصروا على عد الابيات من الهجاء بقوله (ولكنه هجانا) اي مهما حاولت توجيه الابيات نحو المديح فهي هجاء اراده الشاعر عن قصد . وهنا يبعث الخليفة عمر ايضا الى الشاعر حسان بن ثابت فيقر بكونه هجاء فيهدد الخليفة النجاشي ويمنعه من قول الهجاء بقول (ان عدت قطعت لسانك)(٦٥) .

وفي الحادثتين حادثة الحطيئة مع الزبرقان والنجاشي مع بني العجلان نجد محاولة الخليفة الجادة في صرف الانظار عن الهجاء وتوجيه النفوس نحو الالفة والصفاء لئلا تعود سيرتها الاولى قبل الاسلام .

وتترسخ فكرة شكوى الناس لدى المسوؤلين اذا هجوا هجاء مقذعا او اذا شتموا شتما لاذعا بعد الخليفة عمر وكأن الحق العام في الشكوى والهجاء يصير مشروعا حتى يصبح الخليفة مسوؤلا امام المشتكين عن رد الظلم الواقع عليهم بسبب هجاء شاعر ما لهم . وهكذا نجد ان قوما هجاهم الشاعر المزرد بن ضرار ايام الخليفة عثمان بن عفان فاستعدوا عليه الخليفة فبعث اليه رجلين احدهما من بني ثعلبة والاخر من الانصار فأتيا به عثمان فقال قصيدة يعتذر فيها عن هجاء قومه ويتبرأ مما قاله من هجاء فيهم فيقال ان الخليفة عثمان قال له وقد تبرأ واقام المعذرة . اياك وهجاء الناس فأتعظ(٦٦) . وهكذا يصبح من حق الناس رفع الشكوى ضد شاعر هجاء بينما كان الامر في عصر ماقبل الاسلام لا يحتمل اكثر من رد الهجاء بالهجاء . لولا تيقن الناس ان الخليفة مسوؤل عن رد الهجاء لما لجأوا اليه ولعلمهم ايضا ان الهجاء مما يمكن ان يحاسب عليه الشعراء اذا شتموا او تناولوا الاعراض بينما كان هذا الغرض حقا مشروعا للشاعر يدافع فيه عن ذاته او عن قبيلته . وبذا يصبح الموقف من الهجاء في عصر صدر الاسلام جزء من الموقف العام ازاء الاغراض الشعرية التي لاتنسجم مع التعاليم الاسلامية والمبادىء التي وجه اليها المسلمون .

---

(٦٥) الشعر والشعراء ١ / ٢٩١ .

(٦٦) شرح المفصليات ـ لابن الانباري ص ١٤٢